http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1902) السنة الثامنة - الثلاثاء (7) ايلول 2010

ما أدخلناه من الباب اخرج من الشباك!

"الكرين كارت " وبرنامج اعادة التوطين... نزيف لهجرة جديدة

عام ١٩٧٩ ودعت الام ابنها البكر بعد ان استلم صدام حسين زمام السلطة، فهرب خوفا من زنانين "البعث"، بعد حملات طالت الكثير من معارضي النظام في ذلك الوقت، واختار لندن لاقامة دائمية.
لكنها فقدت الثاني بعد بطش السلطة وقمع المنتفضين بعد غزو الكويت، فكان مستقره في المانيا، اما الثالث فقد تركته يذهب الى هولندا مجبرة بعد ان قامت عصابات القاعدة بدس ورقة في سيارته تهدده بالقتل ما لم يترك التدريس في جامعة بغداد.

تسجيل اللاجئين العراقيين

في الطريق الى اللجوء

وائل نعمة

ثلاث حقب زمنية مختلفة لاتبعد عن بعضها كثيرا لكنها شهدت موجات من هجرة الشباب العراقي الى دول غربية مختلفة، كانت نتيجة ضغوطات سياسية واقتصادية وآخرها امنية، ولا يمكننا الانكار ان الكثير منهم قد عاد بعد عام ٢٠٠٨ بعد الاستقرار الامني الملحوظ، والكثير اصطدم بمعوقات التأقلم في جو تملأه الازمات الخدماتية والمعيشية، وصعوبة الحصول على العمل ومأزق الايجارات وضياع منازل البعض في فوضى التجاوزات. كنا قد اعتقدنا ان نزيف الهجرة قد توقف، ولكن ما ادخلناه من الباب اخرج من الشباك!
يذكر الاستاذ هاشم نعمة الباحث في علم الجغرافية والذي وضع دراسة عن تأثير الهجرة على البنية السكانية في العراق، ان هجرة العراقيين إلى الخارج بإعداد كبيرة ظاهرة حديثة لم يعرف تاريخنا المعاصر لها مثيلا باستثناء هجرة اليهود العراقيين إلى إسرائيل في الفترة مابين ١٩٤٨-١٩٥١. بدأ تيار الهجرة يتصاعد بعد انقلاب ١٩٦٨، وطبقا لبحث أعدته منظمة العمل العربية بلغ عدد المهاجرين العراقيين من أصحاب الكفاءات ٤١٩٢ خلال (١٩٦٦-١٩٦٩)، وفي دراسة أخرى صادرة عن الأمم المتحدة عام ١٩٧٤ قدر أن ٥٠٪ من حملة الشهادات الجامعية الأولى (البكالوريوس) في العلوم الهندسية و٩٠٪ من حملة شهادات الدكتوراه هم خارج العراق. وتشير دراسة أخرى إلى أن عدد الذين ولدوا في العراق وغادروا إلى الولايات المتحدة الامريكية خلال عام ١٩٧٧ بلغ ٢٨١١ مهاجرا وأن ٦٣٤ منهم كان سكنهم الأخير قبل الهجرة العراق.
وبسبب الحملات العسكرية التي نفذها النظام السابق لقمع الحركة الكردية اضطر الآلاف من المواطنين الأكراد الى الهروب إلى إيران وعاد منهم إلى العراق ١٠٠٠٠٠ في عام ١٩٧٥، وفي ١٩٧٨ بدأت هجرة القوى الوطنية والديمقراطية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي، وفي نيسان ١٩٨٠ بدأ النظام حملة تهجير واسعة شملت الأكراد الفيلية استعدادا لشن الحرب ضد إيران. فتسارع، لاحقا، تيار الهجرة بعد كارثة غزو الكويت في ٢ آب ١٩٩٠ وما نتج عنها من الحرب وقمع الانتفاضة في آذار ١٩٩١ وفرض الحصار، وفي منتصف ١٩٩١ ذكرت التقارير أن ٢٣٠٠٠ لاجئ مدني و١٣٠٠٠ أسير عراقي من الذين رفضوا العودة إلى العراق وفضلوا اللجوء كانوا في مخيمين في شمال السعودية. واعترف النظام السابق في عام ١٩٩٩ بأن عدد الأكاديميين وأصحاب الكفاءات العلمية الذين اقاموا في الخارج زاد على ٢٣٠٠٠ شخص.
وتعتقد مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين أن ١,٦ مليون مواطن عراقي قد غادر البلاد منذ عام ٢٠٠٣ من بينهم ٥٠٠،٠٠٠ الى ٧٠٠،٠٠٠ يعيشون حالياً في الأردن و٨٠٠،٠٠٠ في سوريا وحوالي ١٠٠،٠٠٠ في السعودية والكويت، كما غادر حوالي ٤٣٦،٠٠٠ عراقي إلى بلدان أوربا والأميركيتين وأفريقيا وآسيا، وصنفت مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين ٢٤٠،٣٠٠ منهم على أنهم مهاجرون و١٨٠،٧٠٠ كلاجئين معظمهم حصلوا على اللجوء قبل عام ٢٠٠٣ و١٥،٠٠٠ كطالبي لجوء.
وزارة الهجرة والمهجرين العراقية من جانبها اكدت عودة ١٥٠ ألف لاجئ عراقي من غالبية بلدان العالم من خلال المفوضية السامية لشؤون اللاجئين بعد الاستقرار الامني، إضافة إلى الأعداد الكبيرة التي دخلت إلى العراق بشكل غير شرعي"، وشمول جميع العائدين بمنحة الحكومة والبالغة مليون دينار عراقي".
وفي هذا الصدد اشار الناطق الاعلامي باسم وزارة الهجرة والمهجرين " حيدر الموسوي "لـ(المدى) بان "الوزراة مستمرة في اقناع العراقيين بالعودة الطوعية الى البلاد عن طريق فتح قنوات الحوار مع اللاجئين في الدول العربية والاجنبية وعبر فتح قنصليات عراقية جديدة الغرض منها الاهتمام باوضاعهم وتسهيل عودتهم"، وأكد" الموسوي "ان الوزارة كان لها اجتماع قبل ايام مع سفراء دول الاتحاد الاوربي الذين عبروا بدورهم عن دعمهم لمشروع العراق في اعادة اللاجئين.
وشدد الناطق على ان الاحصائيات التي تتحدث عن اعداد اللاجئين في دول العالم فيها مبالغة كبيرة وغير دقيقة ولاتعتمد على اسس علمية ومعظمها تقف من ورائها اجندات سياسية، الهدف منها التهويل في حجم معاناة العراقيين في الداخل وتصوير الكثير منهم خارج البلاد، ويشير الموسوي الى "ان المنظمة السامية لشؤون اللاجئين هي احد اسباب تعميق ازمة عودة اللاجئين من خلال رغبتها في اعادة توطينهم في استراليا واميركا واعطاء الاعلام ارقاماً غير دقيقة عن اعدادهم، واوضح ان التعداد السكاني القادم سيكون هو الفيصل في تحديد اعداد المهاجرين واللاجئين، حيث ستكون الوزارة من ضمن الجهات المعنية بهذا التعداد وستقوم بالتعاون مع السفارات والمنظمات الدولية في احصاء اعداد الجاليات العراقية في دول العالم.
فيما قال رئيس المفوضية السامية لشؤون اللاجئين (انطونيو غوتيرس) في تصريحات صحفية ان حوالي ربع مليون لاجيء من مجموع ١٥ مليون لاجيء في أنحاء العالم عادوا طواعية الى بلادهم العام الماضي بينهم ٣٨ ألف عراقي فقط وهو ما اعتبره أقل مستوى عودة طوعية للاجئين منذ ٢٠ عاما.
ألاجراءات الحكومية المختلفة والتي كان الهدف منها ترغيب اللاجئين العراقيين في العودة إلى بلادهم مرة أخرى كتحمل نفقات العودة إلى الوطن والمنحة المالية، يبدو أنها لم تفلح في إقناع كثير منهم ممن يعتقد أن الوضع في البلاد ما زال يحتاج كثيراً من العمل، لا سيما بعد الشروط القاسية التي تضمنتها تلك المنحة، كالتوقيع على تعهد يمتنع الشخص بموجبه عن مغادرة العراق لمدة خمس سنوات قادمة، هذا إن حصل على تلك المنحة بطبيعة الحال.
أوضاع لاجئي العراق في الخارج (وكما تؤكد على ذلك التقارير الدولية) غاية في البؤس، فقد كشفت الأمم المتحدة عن" ان أربعة ملايين لاجئ عراقي يواجهون صعوبات في توفير الغذاء، بينما لا يجد ٤٠ ٪ من سكان البلاد ماؤى آمناً برغم ثروة العراق الغنية بالنفط".
ويؤكد "ديفيد شيرر" منسق الشؤون الإنسانية بالأمم المتحدة " أنه ليس بوسع أربعة ملايين عراقي من اللاجئين والمقيمين خارج العراق أن يضمنوا وجود طعام على موائدهم ليوم غد".
فيما أشار مسح أجرته الهيئة الطبية الدولية على عدد لم يعلن عنه من العراقيين المقيمين في عمان "أن ٤٪ فقط من المقيمين يستطيعون تحمل تكاليف الرعاية الصحية، الأمم المتحدة من جهتها ترى" ان التعويض عن الممتلكات أو الحصول على الخدمات الأساسية ومأوى عندما يعود اللاجئ إلى العراق، قد يكون عاملاً مهماً في تشجيع العراقيين في العودة إلى بلادهم"، وترى الذي يجعل المواطن العراقي يتحمل كل هذه المآسي والصعوبات، ويستمر في رفضه العودة إلى الوطن هو عدم وجود حلول حقيقية، لذلك تجد ان الحل يتمثل بصفة عامة في وجوب أن تتجه الحكومة العراقية نحو دعم مواطنيها، وإن اللاجئين فارون من العنف بصفة عامة وهم بحاجة إلى أن يشعروا بدعم حكومتهم لهم في هذه الظروف الصعبة التي يمرون بها، وهذا هو العامل الذي إن تحقق سنشاهد اللاجئين العراقيين (واقعاً) وهم عائدون إلى وطنهم.
وبعد الظروف الاخيرة وصعوبات تشكيل الحكومة واحباط امال الكثير من الشباب العراقي في الحصول على عمل وحياة مريحة، توجه عدد منهم بانظاره الى "امريكا"، حيث يقول رئيس المفوضية السامية لشؤون اللاجئين (انطونيو غوتيرس) ان حوالي ٥٢ ألف لاجيء عراقي معظمهم يعيشون في سوريا والأردن ولبنان ومصر وتركيا أعيد توطينهم في الولايات المتحدة منذ عام ٢٠٠٧،وأوصت المفوضية بإعادة توطين ٤٨ ألف لاجيء عراقي في دول مضيفة أخرى.
وقد أسست الولايات المتحدة الامريكية في عام ١٩٨٠برنامج قبول اللاجئين كأحد آليات لتنظيم دخول اللاجئين اليها، بحيث يحدد الرئيس الأمريكي بالتشاور مع الكونجرس عدد اللاجئين الذين يسمح لهم بالدخول، ويتمتع اللاجئ بكافة الحقوق القانونية في الحياة والعمل ويمكنه التقديم للحصول على الجنسية بعد مرور خمس سنوات من الاقامة الدائمة في البلاد.
وكان لتردي الأوضاع في العراق منذ عام ٢٠٠٣ أحد دوافع تصاعد إعادة توطين اللاجئين العراقيين في الولايات المتحدة بحيث تصاعد عددهم من ٢٠٢ لاجئ في عام ٢٠٠٦ إلى ما يقارب حوالي ١٧ ألفاً في عام ٢٠٠٩. ففي كانون الثاني ٢٠٠٩ قامت بعثة تابعة للجنة الإنقاذ الدولية بتفقد أوضاع اللاجئين العراقيين في الأردن وسوريا وكشفت عن الأحوال المحبطة التي يعيش فيها اللاجئون ما حدا "بجورج روب" المدير التنفيذي للجنة التأكيد أن إعادة توطين اللاجئين في الولايات المتحدة يعد أحد الآليات الأساسية لتحسين أوضاع اللاجئين العراقيين
وفيما يخص برنامج اعادة توطين المترجمين والمتعاملين مع القوات الامريكية والعاملين في السفارة ومع الشركات الاخرى أوضحت السفارة الامريكية في مؤتمر صحفي عقد في بغداد أن "السفارة الأمريكية بدأت بمنح التأشيرات الخاصة بمنح سمة الدخول (الفيزا) إلى العراقيين العاملين مع الولايات المتحدة في العراق بصورة مباشرة أو غير مباشرة ضمن البرنامج الذي أطلقته السفارة والمتعلق بالعاملين العراقيين مع الولايات المتحدة والذي يوفر ٥٠٠٠ تأشيرة سنويا للخمس سنوات المقبلة".
يقول عدي ٢٨ عاما "حين لا يكون لديك عمل فانك لاتستطيع ان تواجه احداً من الاصدقاء لانهم يذكرونك بفشلك". كان يأمل في دراسته لعلوم الحاسبات ان يجد وظيفة مهما كانت،على ان تسد احتياجاته وتخلصه من الديون التي تراكمت.وبعد محاولات عديدة فاشلة استسلم للعمل في بيئة خطرة، كما يصفها، "عملت مع القوات الامريكية وتعرضت لاكثر من مرة للقتل والتهديد"، هذه المخاطر جعلته يترك العمل ويصبح عاطلا من جديد وهو الان يفكر بالحصول على لجوء الى امريكا. شاب اخر في الثلاثين من عمره، قضى اكثر من سبعة أشهر بالبحث عن عمل في امريكا، "حارث" هاجر الى هناك بعد ما كان يعمل في احدى الشركات الامريكية في العراق، ولكن بعد اشهر طويلة بدون عمل، فكر بالالتحاق بالجيش الامريكي والتطوع في صفوفه ومغادرتها الى افغانستان، ولكنه وبالصدفة حصل على عرض يتيم للعمل في "بيتزا".
كما يسمح برنامج التوطين للاجئ بضم عائلته، والكثير منهم ذهب برفقة عائلته والبعض منهم لم يستطع ان يبقى هناك بسبب صعوبة الحصول على العمل وصعوبة التأقلم مع مجتمع جديد ومختلف كليا، حيث يقول "وسام" احد اللاجئين في ولاية تكساس "رغم المنزل الجميل الذي استأجرته وعملي يسد احتياجاتي واطمئناني لوجود زوجتي وابني بقربي الا اني اشعر انه المكان الخطأ لبدء حياة جديدة".
بالمقابل يرفض سامر فكرة اللجوء الى امريكا رغم عدم اقتناعه بطريقة حياته والصعوبات التي يواجهها في عمله غير المستقر، ويبرر ذلك قائلا "ذهب اخي قبل اشهر الى امريكا وكنت أعتقد أن عمله سيكون في موقع جيد لانه حاصل على شهادة الماجستير بادارة الاعمال وله خبرة كبيرة في مجال عمله، ولكن ماعرض عليه كان وظيفة عامل بسيط في شركة سيارات لقاء ١٠ دولارات بالساعة الواحدة" ولم يكن هذا المبلغ كافيا لسد احتياجات اخيه وعائلته التي برفقته.
بالمقابل اوضح الناطق باسم وزارة الهجرة والمهجرين بان "قضية اعادة توطين العاملين مع القوات الامريكية لاتتعلق بالوزارة وانها قضية لجوء تتعلق بالسفارة الامريكية فقط".
تتضمن عملية إعادة توطين اللاجئين قيام برنامج اللاجئين الأمريكي بتقديم المساعدة للاجئين العراقيين في الحصول على سكن مؤقت لفترة محدودة وتعلم اللغة الإنجليزية وتسجيل أطفالهم للدراسة بإحدى المدارس، فضلاً عن توفير فرص العمل. ولكن في ظل الأزمة المالية التي ألمت بالاقتصاد الأمريكي لم تعد فرص العمل متوافرة للاجئين العراقيين على حد قول "روبين دن ماركوس" المدير التنفيذي للجنة الإنقاذ الدولي في أريزونا وبات على اللاجئين العراقيين أن يتحملوا المعاناة في البحث عن فرص العمل والتعرض لمخاطر التشرد وافتقاد المأوى في أولى سنوات إقامتهم بالولايات المتحدة.

باحث يحذر من مظاهر العسكرة المبكرة

طفل برتبة عقيد.. وسوق في بغداد يصنع القيافة العسكرية للصغار

تحقيق وتصوير/إيناس طارق

خياطة الملابس العسكرية

ملابس العيد

كان لوالده الذي استشهد في انفجار استهدف مركزاً للشرطة ببغداد تأثير كبير عليه. وعلى الرغم من انه لا يتذكر ملامح وجهه إلا انه يسمع كثيرا عنه من خلال والدته وجدته اللتين كانتا تحتضنان بزته العسكرية لتجهشا بالبكاء كلما دخلتا غرفته. هكذا تحول العيد بالنسبة لـ"بلال" الصغير مناسبة لتذكر أبيه عبر التشبه بملابسه العسكرية. لذلك طلب خياطة بزة تحمل على جانبيها، من الكتفين، رتبة "ملازم أول" وهي الرتبة ذاتها التي كان يرتديها والده، ولتكتمل القيافة العسكرية اقتنى بلال مسدسا من البلاستك، أيضاً.

وبينما كنا نستقل السيارة ونتوقف كثيرا لشدة ازدحام الشوارع، اضطررنا الى أن نسلك طريقا فرعيا وكان يؤدي إلى منطقة العلاوي وسط بغداد.
هذا الطريق كان فيه الكثير من محال خياطة الملابس الرجالية العسكرية، القيافة الرسمية تحديداً، لكن الغريب في الأمر أن البعض منهم يضع في واجهة محله ملابس عسكرية للأطفال! الأمر الذي أثار فضولنا وجعلنا نقترب من احدهم، ونسأله عن ملابس الشرطة الزرقاء وملابس الجيش والشرطة الاتحادية المرقطة.
كان العمال في غمرة انشغالهم بتعليق الملابس وتغليفها. سلمان صاحب احد محال الخياطة، وهو يمارس المهنة منذ ٣٥ عاما، يقول:"هذه السنة تحديداً زاد الطلب على خياطة الملابس العسكرية للأطفال من قبل ذويهم حتى الطفل ذاته عندما يأتي بصحبتهم يطلب بدلة وقبعة عسكرية، ومنذ بداية شهر رمضان نستقبل يومياً ما لا يقل عن ١٠ طلبات للأطفال فقط، والكثير منهم يطلب وضع رتب عسكرية على "البزات".
ويؤكد سلمان ان خياطة الملابس العسكرية لا تحتاج الى موافقات أمنية او إبراز هوية المنتسب.
اما مساعده ابو علي فيوضح ان أسعار البزات العسكرية للأطفال تصل الى ١٥ ألف دينار، وان لدى المحل الذي يعمل فيه طلبات كثيرة من محال في سوق الجملة في الشورجة والسوق العربي، فيما يؤكد انه يجهز السوقين يومياً بما يقارب الـ ٤٠ قطعة سيما مع اقتراب العيد.
ومع اقتراب ايام شهر رمضان على الانقضاء، شهدت الأسواق المتخصصة ببيع ملابس الأطفال في بغداد إقبالاً لافتاً على الشراء من اجل إدخال السرور على نفوس أطفالهم، لكن البعض منهم لم يجد في شراء الملابس العسكرية الاعتيادية ضالته فيطلب شراء ملابس عسكرية، ومسدس "صجم" او ليزرية وهذه الأسلحة الجديدة غزت الأسواق قبيل أيام العيد.
وعلق احد المتواجدين بالأسواق بصحبه ابنه "يوسف" البالغ من العمر ٧ سنوات، الكثير الإلحاح على والده باقتناء "بزة" عقيد، قائلا: استيقظ "يوسف" في الصباح وكان سعيدا بالحديث عن ملابس العيد التي وعدته بها، لكن الغريب انه لم يطلب "لعبة" او "كرة قدم" كعادته بل اصر على الملابس العسكرية والمسدس.
ويضيف والد يوسف:كان دائم الإعجاب بجارنا "العقيد" ذي النجوم المتعددة والتاج على كتفيه وكان فضوليا بالسؤال عن عمله، ويمعن النظر الى مسدسه، لذلك يريد ان يكون شبيها به وبعمله.
اما "يوسف" فيقول ببراءته:أريد أن أكون شرطيا واقتل الإرهابيين.. أحب اللعب مع أصدقائي بالملابس العسكرية حاملا مسدسي.
يبدو ان ظاهرة ارتفاع الاسعار التي غدت ملازمة لمثل تلك المواسم قد تركت غصة وحسرة في نفوس العديد من الآباء والأمهات، فوجدوا سبيلا لتنفيذ طلبات أولادهم بخياطة بدلات عسكرية يقضون بها أيام العيد، بدلاً من كثرة طلباتهم لاقتناء ملابس عديدة،خصوصاً العائلات ذات الدخول المحدودة التي لا تقوى على دفع التكاليف الملتهبة لقائمة ملابس الأطفال في العيد. تقول ام سيناء وهي والدة لأربعة أطفال، اثنان من أولادي طلبا ارتداء ملابس ذات الوان عسكرية، خصوصاً البنطال المرقط، وهذه الملابس رخيصة لا يتجاوز سعر البنطال منها ٣٥٠٠ دينار فقط والقميص ٢٠٠٠ دينار، وتضيف السيدة انها لو اشترت ملابس "مدنية" على حد تعبيرها، لكانت قد حرمت الفتاتين من شراء ملابس العيد، لان دخلهم محدود جداً، فزوجها لا يجد فرصة عمل تتيح له مصدرا كافيا للمال، وتعلق قائلة:"انه يوم يعمل ليبقى عشرة ايام عاطلا عن العمل".
عائلة السيدة وأطفالها تعيش في ظل هذه الظروف تسكن في غرفة صغيرة في احد فنادق منطقة العلاوي.
أستاذ الاقتصاد في الجامعة المستنصرية فراس عبد الساعدي يقول ان هذا الامر يبدو خطيراً جدا، لان الطفل بدأ يلجا الى العنف وامتلأ عقله بمشاهد العنف والتفجيرات ومظاهر العسكرة، ما جعلهم يفكرون بالدخول في المنظومة الأمنية وإيجاد الحلول عبر ارتداء الزي العسكري وقتل الإرهابيين على حد تفكيرهم، وهذا التفكير يؤثر على الأطفال الذين ينشأون في أوضاع غير مستقرة ومتوترة امنياً، فكيف يمكن ان يطلب أطفال بعمر الزهور ارتداء بدلات عسكرية مشابهة لبدلات أوليائهم الذين قتلوا بسبب الأعمال الإرهابية، إذن هم بهذه البدلات سوف يختارون مستقبلهم بـ"عسكرة مبكرة" ويحملون سلاحاً ويتعلمون التصويب حتى لو كان سلاحاً بلاستيكيا، المهم الرغبة في الفعل. ويضيف "الساعدي" مع الأسف أولياء الأمور يناقشون وراء تحقيق رغباتهم دون التفكير ان هذا التشجيع والتقليد خطير.
يحلل الطب النفسي هكذا تصرفات بتعريفها بالخوف وهو شعور غير مريح ينتج عن وجود خطر ما، وهذا ما يجعل الشخص يتجنب المخاطر، ويستعد لها، هذا الشعور يكون طبيعياً عندما يتناسب مع الخطر أو الشيء الذي يخاف منه. مثال ذلك خوف الأطفال من الأشياء الغريبة وغير المألوفة عندهم والخوف من الظلام في سن مبكرة أو الخوف من الحيوانات، هذه الأشياء المخيفة قد تجعل الشخص يستعد لمواجهتها، التي يتفق الجميع على أنها مخيفة فعلا، وقد تكون ذات فائدة بحيث إن الشخص الذي ينتابه الشعور بالخوف من الامتحانات يستعد لها.